# في الآلهة السورية

## شروح وتعليقات ـ ١ ـ

للأستاذ عدنان بن ذُريل

ان نبذة « في الآلهة السورية » ، للفقيه ، والكاتب السوري ( لوقيانوس السميساطي ١٢٥ ـ ١٩٠ م ) ، نبذة ثمينة ، ونادرة ، وفريدة من نوعها ، في الأرث المكتوب ، والمطبوع الذي وصلنا عن ( ديانة الخصب والتوالد ) ، في عهد لها متأخر ، في سورية ؛ وهي مكرسة كلها تقريباً ، لديانة الآلهة السورية ، ـ أتارغاتيس ـ ، أو كما تقول[1] النبذة ـ هيرا الآشورية[2] ـ ؛ وميزتها أنها ( سرد ) حي ، يسرده المؤلف[3] ، لمشاهداته الأثرية ، في سورية ، ولبنان ، وعلى الخصوص في معبد ( هيرابوليس ـ منبج ) ، الفخم ، الكبير .. هذا ( السرد ) الحي مليء بالأوصاف الواقعية ، والنقول لمرويات عن كهنة ، وعلماء ؛ ويتخلله عند كل حنية تقريباً ،

---

(١) للوقوف على النصوص المشار اليها في تضاعيف هذا البحث التفسيري ، نحيل القارىء الكريم ، الى ترجمتنا للنبذة ، المنشورة ، في ( مجلة الحوليـات الأثرية السورية ) ، المجلد ١٤ ، عام ١٩٦٤ ، ص ١٣٩ ، وما بعدهـا .

(٢) النبذة ، المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٣) يقول المؤلف ، في ( مطلع ) النبذة : ـ وأنا نفسي الذي يكتب هذا الكتاب ، إني آشوري ، وقد رأيت بأم عيني جزءاً ممـا أرويه ، في حين أن الباقي ، أي ما هو سابق على عصري ، فأنا أعلمه كما أخبرني به الكهنة . ـ ص ١٤١ أيضاً .

تعليق ، أو توضيح ، أو تفسير للمؤلف نفسه ؛ الأمر الذي يكسب النبذة مسحة تنويرية ، مفيدة ؛ أنها تاريخ ، ووصف ، وتفسير ؛ وأن ما تسجله من ( تطورات ) على هذه الديانة السورية ، ديانة الخصب والتوالد ، يعتبر من أثمن ما سجل من تطورات في تاريخ الديانات السورية ، والسامية .

يضاف الى ذلك أنها تكشف النقاب بأوصافها ، وتوضيحاتها ، عن مدى تأثر ( الفن السوري ) ، على اختلاف أنواعه ، سواء في مضمار المعمار ، أو النحت ، أو الصياغة ، أو التطعيم ، أو الموسيقى ، والغناء ، وغيرها بالفنون المجاورة الغربية اليونانية ؛ أو الشرقية الآشورية .

وأصالة النبذة ، في رصدها الحال المتأخرة التي كانت عليها ( ديانة الخصب ، والتوالد ) ، أو تسجيل تطوراتها في أواخر العهد الوثني في سورية ، وأوائل العصور المسيحية ؛ ولذلك حرصنا على توضيح جوانب هذه الأصالة وإظهار تلك التطورات ؛ فأوضحنا ( العناصر المقومة ) لهذه الديانة ، على الحال التي كانت عليه أيام المؤلف ، وكما وردت أوصافها في النبذة ؛ ثم شرحناها ، وقارناها ، بالحال التي كانت عليه في عهودها الأولى ، في سومر ، وبابل ، وآشور ، أو سورية ، وفينيقية ، وغيرها ؛ فبينّا ما كان فيها ، في تلك الحال المتأخرة ، من ( إرث آشوري ) ، أو ( يوناني ) ، سواء في عقائدها ، أو طقوسها ، أو تنظيماتها ، أو عباداتها ؛ كما بينّا قيمة كل منها ، وتطوره ؛ وخاصة ، وأن ( العصر ) الذي كتبت فيه النبذة ، أواخر العصر الثاني الميلادي ، عصر بدأت تتوحد فيه ( الآلهة الوثنية ) بين الشرق ، والغرب ، بين سورية ، والعراق ، ومصر ، وبلاد اليونان ، والرومان ؛ وذلك إما عن طريق الهلنستية في سورية ، ومصر ، والعالم الروماني ، أو طريق المبادرات للحرية ، والاستقلال ، والسيادة ، واحتكاك الجيوش الرومانية في مناطق مختلفة ، في أنحاء الامبراطورية الرومانية ..

## مؤلف النبذة :

ومؤلف النبذة « في الآلهة السورية » ، هو الفقيه ، والكاتب السوري[١] ، ( لوقيانوس السميساطي ١٢٥ — ١٩٠ م ) ؛ وكان من رجال الأدب ، والبلاغة ، والقضاء المبرزين في العالم

---

(١) تجد في ( قاموس لاروس الموسوعي ) ، باريز ١٩٦٢ ، المجلد ٦ ، ص ٨٩١ ، ترجمة جيدة للمؤلف ؛ وقد أرخ له عندنا ولأدبه ، وترجم مختارات من محاوراته ، الأديب ( سعد صائب ) ، في مجموعة مقالات نشرها مؤخراً في مجلات دمشق .

الروماني ؛ عمل في مطلع حياته محامياً ، في بلدته سميساط ، ثم تنقل في أنحاء من العالم الروماني ، يدرس البلاغة ، والقانون ، والفلسفة ، فدرس البلاغة في إيطاليا ، وفرنسا ، ردحاً من الزمن ، كما تولى عدة مناصب تعليمية ، وإدارية كبرى ، آخرها ، توليه رئاسة كتابة محكمة الاسكندرية في مصر ، حيث توفي عن عمر يناهز الستين . .

ورغم أن ( البلاد السورية ) في أيامه تحررت من الحكم السلوقي (١) ، وانتقلت الى الحكم الروماني ، وبادرت فيه ، الى الحرية ، والاستقلال ، والسيادة (٢) ، في شتى مرافقها السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية (٣) ؛ فقد كان يكتب باللغة الاغريقية ، وأدبه ( أدب ) جريء ، وساخر ، وحر ؛ كله الفكر والانتقاد ، والغمز ؛ وقد تنوقل أدبه في كافة أنحاء العالم اللاتيني ، والروماني ، كما تدورس في جامعات أوروبا الحديثة ؛ وتلك ( دلائل ) واضحة على روحه العلمية ، المتفحصة ، وجرأته الناقدة ، الصادقة ؛ بما يكفي ، الى حد كبير ، لاكساب هذه النبذة صفة العلم ، والنزاهة ، أو اكتسابها ثقة الدارسين ، وتقديرهم . .

## الأثر اليوناني في النبذة :

إن ( الأثر اليوناني ) ، واضح في ديانة الخصب ، والتوالد ، في شكلها السوري ، الذي وصلت إليه أيام لوقيانوس ، وهي أوائل العهد الروماني في سورية ، وأوائل العصور المسيحية فيها أيضاً ، وقد عكست النبذة هذا ( الأثر اليوناني ) بشكل واسع ، مفصل ؛ ظلت لديانة الخصب ، والتوالد أيضاً معه ، أصالتها ، ومميزاتها ، في معتقداتها ، وطقوسها أيضاً ، التي توضحها النبذة أيضاً بدقة ، وتفصيل . . تجد ذلك مثلاً ، في أسماء الآلهة : ( زيوس ) ،

---

(١) عام ٦٤ ق.م. قضى ( بومبيوس ) على الدولة السلوقية في سورية ، وجعل ( البلاد السورية ) ولاية رومانية ؛ وسميت : ( الولاية السورية ــ Provincia Syria )

(٢) مثال ذلك مظاهر الحرية ، والاستقلال ، والسيادة في دولتي ( البتراء ) ، و ( تدمر ) ، آنئذ ، إلا أن روما ضمت البتراء ، وشرقي الأردن في ولاية واحدة ، سمتها ( الولاية العربية ــ Provincia Arabia ) كما خشيت من تهديدات تدمر فاستولت عليها .

(٣) من مظاهر حرية السوريين آنئذ ، رجوعهم الى آدابهم القديمة ، واستعمالهم ( اللغة الآرامية ) في التخاطب ، والتعامل ؛ في حين كانت ( اللغة اليونانية ) لغة التجارة ، والعلم ، و ( اللاتينية ) لغة الإدارة ، والجيش .

( هيرا ) ، أفروديت ، ديونيسوس ، أبولون ، وغيرها ؛ أو أسماء الأعلام : ( هيرابوليس ) ، ( ديكاليون ) ، ( الاسكندر ) ، ( آشيل ) ، ( هكتور ) ، وغيرها . .

ويحل ( الجانب العقائدي ) محله الطبيعي في معتقدات النبذة ، وطقوسها ، في اتجاه إنساني ، سوري ؛ ومرد ذلك كله ، في الأساس ، ( تشابه ) المعتقدات الوثنية في تمجيد الحب ، والخصب ، والتوالد ، والعدل ، والنظام ، في سورية ، وبلاد اليونان ، والرومان ؛ والتي كانت مالت آنئذ للتوحد ، والاندماج بعضها في بعض ؛ الأمر الذي سهل هذا ( التلقيح اليوناني ) الظاهر ؛ والذي عاش في ظل ( الرومان ) مدة من الزمن ، ولم يسيء الى الاصالة السورية ، ولم يهمل ( الإرث الآشوري ) ؛ ناهيك أنه ، في ظل الرومان ، ازدهرت عبادة ( جوبيتر الدمشقي ) في دمشق ، و ( جوبيتر هليوبوليتانوس ) في بعلبك ، ويمثلان الإله السامي القديم ( بعل حدد ) ، والذي اعتبره اليونان ، ثم الرومان ، معادلاً لإله الشمس عندهم ؛ وقد حملا مع آلهة سورية أخرى[1] الى روما ، وأرجاء مختلفة من العالم الروماني ، ومجدت معها ( أتارغاتيس ) السورية ، وهي نفسها التي يتحدث عنها ( لوقيانوس ) في نبذته . .

## الإرث الآشوري :

و ( الإرث الآشوري ) في النبذة ظاهر أيضاً ، بعضه في شكله الأساسي ، مثل المعتقدات وأسماء الآلهة : ديانة الخصب ، ( هيرا ) التي تنعتها النبذة بـ ( آشورية )[2] ؛ أو الصنم ، الذي تذكر النبذة أنه لـ ( سميراميس ) ، أو ( ديكاليون )[3] ؛ أو هيئة الكهنة ، والقسس المخصيين والمغنين ، والنساء المجنونات ، المعتوهات اللواتي يخدمن في المعبد ، وهي كلها[4] من ميزات الكهنوت البابلي ، ثم الآشوري ؛ أو أيضاً العادات ، والتقاليد ، مثل الوشم[5] ، أو قص

(١) حمل الامبراطور السوري ( ايلاغبال ) الحجر الأسود المقدس ، الى روما ، وهو شعار إلهه ( بعل الحصي ) إله الشمس الذي تسمى باسمه ؛ كما حملت أصنام من بعلبك الى هناك ؛ ثم أعيدت كلها ، فيما بعد الى أماكنها . .

(٢) النبذة ، ص ١٤١ .

(٣) هو عند اليونان نوح ، أو سيزوتروس ، أو أمنابوختوم في اسطورة الطوفان القديمة .

(٤) النبذة ، ص ١٥٩ ، وراجع أيضاً ص ١٦١ و ١٦٢ .

(٥) النبذة ، ص ١٦٣ .

الشعر للفتيان ، أو الشباب[١] ... وشيء بارز هام ، نفتقده في النبذة ، يلفت النظر بالنسبة لـ ( زيوس ) ، والذي تشير النبذة أن السوريين يسمونه تسمية أخرى[٢] ، لعلها ( البعل حدد ) ، هو : شعائر موت البعل حدد ، ثم حياته ، وطقوس ذلك كله ؛ مع أن هذه الشعائر ، والطقوس ، في موت البعل حدد ، حياته ، معتقدات ، وطقوس أساسية في ديانة الخصب ، والتوالد ، نجدها في كافة الشرق الأوسط القديم ، سومر ، ومصر ، وبابل ، وآشور ، وفينيقية ، وآسيا الصغرى ، وغيرها[٣] .. في حين تذكر النبذة ، — وهذا أمر هام — ، انه حتى عصر ( لوقيانوس ) ، كانت طقوس ( موت أدونيس ) ، ثم ( حياته ) ، تمجد في لبنان ، في معبد ( أفروديت ) الجبيلية ؛ والتي يروي[٤] شيئاً عن أوصافها ، أو تفسيراتها .

## مؤسسو الديانة ومنشئو المعبد :

عندما يشرع ( لوقيانوس ) ، في تدوين نبذته يذكر ، أن — هيرابوليس ، أو المدينة المقدسة .. مخصصة لهيرا الآشورية — وأنه كان للمدينة قديماً اسم آخر[٥] ؛ — وأنها اكتسبت هذه التسمية ، في الوقت الذي ازدهر فيه الدين في المدينة — ؛ ثم يذكر أنه سيتحدث — عن

---

(١) النبذة ، ص ١٦٤ .

(٢) في النبذة ، ص ١٥٥ ؛ يقول ( لوقيانوس ) : — يوجد في الغرفة ( أي داخل المعبد ) تمثالان ، أحدهما لـ ( هيرا ) ، والآخر ، ربما هو في الحقيقة لـ ( زيوس ) ، الا ان السوريين يسمونه باسم آخر — .

(٣) على ما ظهر بينها من اختلافات في الشعائر ، والطقوس ، والأساطير ، يرجع الى عوامل جغرافية ، أو زمنية ، كما سنوضح ذلك فيما بعد . .

(٤) النبذة ، ص ١٤٢ — ١٤٣ ؛ وسنوضح فيما بعد أيضاً الاسماء المختلفة الواردة في النبذة .

(٥) جاء في ( تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ) لفيليب حتي : ترجمة جورج حداد ، وعبد الكريم رافق ، ١٩٥٨ : — بالآشورية Nampigi وبالآرامية Nappigu ، وفيما بعد أصبحت مابج Mabug ، أو Nabbog ، بمعنى نبع من فعل Nbag أي نبع ؛ وباليونانية Bambyce ، وفي اليونانية الرومانية هيرابوليس ، اي المدينة المقدسة ، واليوم منبج . — ص ١٨٦ .

ويذكر ( أميل شامبري ) الذي اعتمدنا ترجمته الفرنسية ، في تعليقه (٢) : — ان ( هيرابوليس ) كانت تسمى ( أيدسه ) Edesse ، ومن قبل ( بامبيكه ) Bambyké ؛ وهي على بعد أربعة سكينات ( ٧٢٠ م ) من الفرات ، حسب قول سترابون Strabon ، وقد أسماها السوريون ، حسب رواية بلينوس Pline ( ج ٥، ف ٢٣ ) ( ماجوج ) Magog . —

وقد زارها الرحالة ابن حوقل ، وناصر خسرو ، وابن جبير ، وغيرهم ، وكتبوا عنها ؛ كما كتب عنها كثير من جغرافيي العرب ، ومؤرخيهم ، وقد وصف أحوالها اليوم عبد القادر عياش في دراسات ، متفرقة . .

الشعائر التي نلاحظها في ديانتها ، والجمعيات التي تنعقد فيها ، والأضاحي التي تقدم — كما سيتحدث — . أيضاً عن كل ما يروى عن مؤسسي ديانتها ، وكيف أنشىء معبدها [١] . —

يذكر ( لوقيانوس ) اثر ذلك ، أن — . . ( المصريون ) ، بين جميع الشعوب التي نعرفها ، هم ، كما يقال ، الأوائل الذين تمثلوا وجود الآلهة ، ونذروا لها ديانة ، وحلقات مقدسة [٢] — ؛ وهذا أيضاً رأي ( هيرودوتس ) في ذلك[٣] ، والذي لا شك سمعه من الكهنة في مصر ؛ كما يذكر ( لوقيانوس ) اثرها أنه — .. أسس الآشوريون ، بعد مدة وجيزة ، ديانة لأنفسهم ، بعد تنورهم على مذهب المصريين الديني ، وابتنوا المعــابد ، حيث وضعوا التماثيل ، والصور المنحوتة [٤] . —

وهذا الرأي ينفرد به ( لوقيانوس ) ؛ إذ لا نعرف تأثيراً دينياً للمصريين في آشور ؛ مثل الذي نجده في فينيقية مثلاً ؛ وإنما ( الديانة الآشورية ) هي نفسها ( الديانة البابلية ) ، ومن قبل ( السومرية ) ، بمعتقداتها ، وطقوسها ؛ بدل الآشوريون الإله البابلي ( مردوك ) ، بإلههم ( آشور ) ؛ وأغنوا مجمع الآلهة بتسميات ، ونعوت جديدة ؛ ولكن ظلت الأساطير ، والطقوس بابلية ، سومرية ، أي وثنية ، في اتجاه الاهتمام بالنجوم ، وتقديسها .

---

(١) هذه العبارات كلها من النبذة ، ص ١٤١ .

(٢) لعل هذا الرأي صادق على الديانة كمعتقدات ، وطقوس منظمة ؛ في حين تدل الحفريات الأثرية الحديثة أن حضارة سومر سبقت في بزوغها حضارة مصر ، ثم عاصرتها ؛ وقد كانت الديانة السومرية ، هي الشكل الطبيعي الأول ، ببساطتها ، وتجريدها ، ولا تشكيلها لديانة الخصب ، والتوالد والتي عاشت ، بشكلهـا الطبيعي البسيط ، ردحاً من الزمن عند العموريين ، والكنعانيين ، وليس بعيداً أن تدلنا الأيام على صلات بين هذه الحالة الأولى ، والديانة المنظمة ؛ ومع ذلك ، فان ( لوقيانوس ) يشير في النبذة الى أنه : — .. قديماً ، حتى عند المصريين ، لم يكن ثمة تماثيل في المعابد . — ص ١٤١ ؛ ولعلنا نجد في حجر الـ ( بن بن ) ، في المعابد الشمسية للأسرة الخامسة ، في مصر ، وهو الذي ترسل الشمس أشعتها الأولى عليه ، وكانت طلعت عليه قديمـاً ، أو في عامود الـ ( د د ) وهو رمز أوزيريس ، وفي طقوس تلبيسه ، بعض بقـايا من اللاتشبيه المصري .

(٣) تاريخ هيرودوتس ؛ ج ٢ ، ف ٤ .

(٤) هذه العبارات من النبذة ، ص ١٤١ . وهي توضح مقصد لوقيانوس من تأثر آشوري بالمصريين ؛ وأنه من جهة ابتناء المعابد ، . واصطناع التشكيل فيها ، من رسم ، ونحت ..

يذكر ( لوقيانوس ) اثرها : — وكما أني كنت أستفسر عن عمر المعبد ، كم يمكن أن يكون ، ولأية آلهة يعتقد أنه مخصص فقد أجابوني اجابات مختلفة ، بعضهـــا معترف به ، وبعضها الآخر دنس ، والبعض الآخر اسطوري في مجموعه ، وآخر منها بربري ، وآخر أيضاً موافق لآراء الاغريق . وسأوردها كلها دون أن أتبنى واحدة منها —[1] .

وهذه الروايات هي أولاً : أن — الأغلبية تقول إن مؤسس المعبد هو ديكاليون الشيث ، الذي حصل في عهده الطوفان الكبير[2] . — ويروي ( لوقيانوس ) حادثة يزعمون أنها جرت في المدينة ، بعد الطوفان ، وهي ظهور فرجة ضخمة ، في الأرض ، امتصت كل ماء الطوفان ، ابتنى عليها ديكاليون المعبد ، وكرسه لـ ( هيرا ) ؛ ثم يروى أنه شاهدها بنفسه ؛ أنها تحت المعبد ، وهي ضيقة ؛ وأن الناس ، حتى وقته ، تقوم بطقوس تذكر بالحادثة ؛ وهي طقوس جلب ماء البحر[3] ، مرتين في العام ، يسفحونه في المعبد ، ثم ينحدر الى الفرجة ... وهم إذ يفعلون ذلك ، فلأن ( ديكاليون ) ، كما يقولون قد سنه قانوناً لهذا المعبد ، ليخلد ذكرى شقاء الإنسان ، وجميل الآلهة نحوه[4] . — وذلك هو الموروث القديم في موضوع المعبد .

وثانياً : — .. حسب غيرهم ، كانت ( سميراميس ) ملكة بابل .. هي التي بنت هذا المعبد ، وخصصته ، ليس لـ ( هيرا ) ، ولكن لأمهـــا المسماة ( ديركيتو )[5] . — ولكنه يرفض تصديق هذا الرأي[6] .

وثالثاً : — رواية متوارثة سمعتها ( المؤلف ) من رجل عالم ؛ وهي أن الآلهة هي ( رحيا ) ؛ وأن المعبد من بناء أتيس ، وكان ليدياً[7] . — والذي طاف اثره خصائه في الأرض ، يغني لرحيا ، فأوصلته رحلاته الى سورية ؛ وكما أن الشعوب في الضفة الثانية من الفرات لم تستقبله

---

(١) النبذة ، ص ١٤٤ .
(٢) النبذة ، ص ١٤٤ أيضاً .
(٣) النبذة ، ص ١٤٥ ؛ وانظر أيضاً ص ١٦٠ ، أعياد النزول الى البحر .
(٤) النبذة ، ص ١٤٦ .
(٥) النبذة ، ص ١٤٦ ؛ وتقول الأسطورة ان ( ديركيتو ) امرأة نصف جسدها الأسفل بشكل ذيل سمكة ..
(٦) كما يروي عن تقديس السمك ، على شرف ديركيتو ، والحمام من شرف سميراميس ، وتحريم أكلها في مناطق مختلفة ..
(٧) النبذة ، ص ١٤٦ أيضاً .

ولم تحفل بتماثيله ، ابتنى معبداً للمدينة ؛ وان القسس المخصيين لا يخصون أنفسهم على شرف ( هيرا ) ، ولكن ( رحيا ) .. ويعلق المؤلف على هذا الرأي بأن فيه مغالطة جميلة ، ولكنه ضد الحقيقة [١] ..

ورابعاً : — وهناك رأي يعجبني ( أي المؤلف ) ، لأنه مطابق في كثير من الوجوه لرأي الاغريق ؛ وهو رأي الذين يعتقدون أن الآلهة فيه هي ( هيرا ) ، وأن المعبد من بناء ( ديونيسوس ) بن سميلة [٢] . — ويدلل على ذلك ، بوجود ثياب بدائية بربرية ، وحجارة كريمة من الهند ، وأنياب فيلة أحضرها ( ديونيسوس ) من بلاد الحبشة ، وأيضاً — العمودان الضخمان اللذان ينتصبان في الدهليز ، واللذان نقشت عليهما هذه الكتابة : هذان العمودان ، هما أنا ديونيسوس ، الذي خصصها لشرف هيرا ، زوجة والده [٣] . — ثم يضيف ( لوقيانوس ) الى ذلك وجود تمثال في الجهة اليمنى من المعبد يذكر بالأقزام الخشبية التي يضعها الاغريق على الأعمدة التي يرفعونها لديونيسوس [٤] ..

ويتضح لنا من هذه الروايات ، وأدلتها ، وتعليقاتها ، أن الاتجاه العام لمغزى التأسيس للمعبد ، هو تمجيد ( الانسان ) في عبادته ، وعبوديته ، وجميل الآلهة نحوه [٥] ؛ كما توحي بتمجيد الخصب ، والتوالد ، في تمجيد ( هيرا ) بفعل ديونيسوس ، أو ( رحيا ) بفعل أتيس ؟ في حين تمجيد ( ديركيتو ) ، يوحي بتقديس السمك ، وكان مظهراً وثنياً للخصب ، والتوالد أيضاً ، في سورية ، وفلسطين وغيرهما ..

---

(١) النبذة ، ص ١٤٧ .

(٢) النبذة ، ص ١٤٧ أيضاً .

(٣) و (٤) نفس المصدر ، والصفحة ..

(٥) اننا نلحظ اسطورة ( الطوفان ) في بعض الروايات عن دخول الوثنية الى الحجاز ، والعرب ؛ الطوفان كما يذكر ( ابن الكلبي ) في كتاب الأصنام ، هو الذي حمل الأصنام من جبل نبذ ، في الهند ، وقذف بها الى أرض جدة ؛ فنقلها ( عمرو بن لحي ) ، ودعا العرب الى عبادتها ؛ وهي صور أقوام صالحين من بني شيث ؛ كما أن قوم نوح كانوا يعبدونها . ( كتاب الأصنام ، تحقيق أحمد زكي باشا ، مصر ، ١٩٢٤ ) ص ٥٠ ، وما بعدها .. وانظر أيضاً ص ٨ وما بعدها عن رواية الاتيان بها من الشام ، حيث يستسقون بها المطر ، ويستنصرون على أعدائهم ..

لقد توارثت ( ديانة الخصب ، والتوالد ) تقديس قوى الطبيعة ، وصلات الإنسان بها ؛ وتجلى ذلك في حركات العبادات ، وشعائر الأعياد فيها ؛ وبالفعل ، إن ( العبادات ) ، والأعياد فيها تتحدث عن الديانة ، أكثر مما يتحدث عنها مؤسس معين لها ؛ ذلك أن ( الديانات القديمة ) في الواقع لا مؤسس لها ، وإنما هي فعل تقاليد متوارثة ، وجمعيات للكهنوت ، هي على العموم محافظة ؛ وليست فعل إلهام ، أو وحي ، أو نتيجة رسالة ، أو دعوة (١) ..

وقد لاحظ الدارسون للديانات القديمة المختلفة ، في الشرق الأوسط ، والهلال الخصيب خاصة ، من أنها تفتقد الى ( كتب ) ذات تعاليم ، أو الى ( مؤسس ) يحمل شعلة الهداية ، على النحو الذي نجده عند العرب ، أو في بني إسرائيل ؛ ويذكر العالم في المسماريات ( جان بوتيرو ) بخصوص ( الديانة البابلية ) ، أنها من النوع الذي يسميه ( الأديان البدائية ) ، أي الوثنية القديمة ، في مقابل ( الأديان التاريخية ) ، أي التي أرخت بدعوة رسول ، مثل الأديان السماوية (٢) ؛ وأنهـا تبتنى على تقاليد سومرية سامية ، ترجع الى عصور سحيقة قبل تأسيس دولة بابل الأولى ؛ وأن ( الديانة الآشورية ) شبيهة بديانة بابل ؛ ظل مجمع الآلهة فيها سومرياً ، بابلياً ، ثم أغنى بشخصيات ، وتسميات جديدة (٣) ..

وهنا بالنسبة لما يذكره ( لوقيانوس ) عن مؤسسي الديانة السورية ، ( ديكاليون ) ، أو ( ديونيسوس ) ، أو ( سميراميس ) ، أو ( أتيس ) ، من الصعب قبوله على علاته ؛ علاوة على أن فيه نفحة سامية جديدة ، جاءت بها المسيحية كدين سماوي جديد ، أخذ ينتشر في سورية ، والعالم الروماني ، وهي نفحة ( الرسالة ) بالذات ؛ ولأن ذلك غير وارد في الأساس ، في قصص الآلهة ، ( هيرا ) ، ( زيوس ) ، ( رحيا ) ، ( حدد ) ، أو الملوك ( سميراميس ) أو قصص الطوفان ، في مثل ( ملحمة جلجامش ) ، وغيرهـا .. وإنما ذلك صدى تفسيرات

---

(١) ليس عندنا في التاريخ القديم ، الا مثال ( أخناتون ) الذي دعـا الى عبادة الشمس ؛ وعندما توفي ضغط الكهنة على خليفته ( توت عنخ آمون ) ، وأرجعوا التقاليد الدينية الموروثة ؛ أو مثال ( حورابي ) الذي شرع للمجتمع وعلاقات الناس بعضهم مع بعض .

(٢) La Relijion Babylonienne, Jean Bottero, Paris 1925. P. 24

(٣) المصدر الآنف الذكر ، ص ٢٢ .

لطقوس عملية متوارثة ، في تمجيد ( قوى الطبيعة ) ، والخصب ، والتوالد ، أو تحبيب العبادة للانسان ، والتقرب الى الآلهة .. أو أيضاً مجرد ( شروح ) لنقوش مغفلة ، مثل عمودي ديونيسوس ، أو لعادة اجتماعية ، مثل الخصاء ، وغير ذلك ..

كانت ( الديانة السورية ) على الشكل الذي وصلت إليه أيام ( لوقيانوس ) قد تطورت تطوراً كبيراً ، حتى بدت في مظهر جديد ، قديم ، يجمع بين الإرث الآشوري ، والأثر اليوناني ، والتقاليد السورية ؛ وذلك يفسره الموقع الجغرافي لـ ( هيرابوليس ) ، منبج ، أو بيئتها ، أو الفترة الزمنية ، أو العنصر البشري فيها ..

## حقيقة لقب ( الآلهة السورية ) :

ما هي حقيقة اللقب الذي عنونت به النبذة ( في الآلهة السورية ) وهل له دلالة على نظام الألوهية ، باعتباره يعطي الأفضلية للآلهة الأنثى ، على الإله الذكر ؟ . في الحقيقة ، إن ( تفضيل ) الآلهة على الإله إرث قديم ، في تمجيد الخصب ، والتوالد ، يرجع الى ( سومر ) نفسها(١) ؛ وقد عكست الآثار السورية ذلك في تمجيد ( عثار ) وهي باللغة الآرامية عشتار ، و ( عتاه ) وهي آلهة أوغاريتية ، وآرامية ؛ كما عكستها الآثار الفينيقية في تمجيد البعلة ، وغيرها .

كانت ( عشتار ) في بابل ثم آشور ، وكافة آسيا الوسطى ، آلهة خصب ، وتوالد ، أو على حد تعبير كونتينو ( مبدأ أنثوي للخصب ، والتوالد )(٢) ؛ وهي تارة آلهة حب ، وتارة آلهة حرب ؛ وقد قرنت من اثر اهتمام البابليين ، ثم الآشوريين بالنجوم ، بالكوكب الزهرة ، فكانت ، على حد تعبير بوتيرو : ـ في الوقت نفسه ( الزهرة ) وهي تبدو في المساء ، وفي هذه الحالة هي ابنة ( أنو ) ، وتتحكم بمصائر الحب ؛ أو هي ( الزهرة ) المشعة في سماء الفجر ، وفي هذه الحالة هي ابنة ( سين ) ، وربة الحروب(٣) ـ .

---

(١) يقول العالم في المسماريات ( جان بوتيرو ) في كتابه الآنف الذكر ، يعرف بـ ( الديانة السومرية ) ، بناء على دراسات العالمين ، ش . ف جان ، وكونتينو ، انها : ـ ديانة قوى الطبيعة ، ومبدأ التوالد ، والخصب ممثلة بشخصيات الهية عديدة من الجنسين ( مع التفضيل والأولوية للجنس المؤنث ) ... مع أهمية لطقوس البغاء المقدس ، التي يتحد فيها الانسان المذكر ، والمؤنث ، وازمين ، ومحدثين في الوقت نفسه التوالد للناس ، والحيوانات ، والنباتات ؛ وأيضاً اهتمام قوي نوعاً ما بعالم ما وراء الموت . ـ ص ٤ .

(٢) Civilisation d, Assur et de Babylone, Conteneau ; Paris, 1951 , P. 76

(٣) La Religion Babylonienne, Bottero ; Paris, 1949 , P. 37



(لوح بارز) الآلهة السورية – أتارغاتيس –، وجد في منبج،
ومحفوظ في متحف حلب، راجع تعليق ٤، ص ٧٤

ونجدها زوجة (١) لآشور ، و ـ سيدة القتال (٢) ـ بالتالي ؛ وقد نزلت الى العالم السفلي لإنقاذ مردوك (٣) ، أو أيضاً أدونيس (٤) وحيوانها النعت الأسد ، أو الحمامة (٥) .

أما ( عناة ) أو ( عنت ) ، فنجدها في ألواح أوغاريت ، وفي الآثار الآرامية المتأخرة ، وتلعب ، في قصة موت ( البعل حدد ) نفس الدور الذي تلعبه عشتار في قصة موت ( مردوك ) ، أو ( أدونيس ) ؛ وقد كانت ( عناة ) في الواح أوغاريت في درجة ثانية مع ( بعل عليان ) (٦) ، باعتبارهما ( مبدأين ) حيويين ، فعالين في عالم الأشياء ، والانسان ، في حين كان ( ايل ) الإله الأول ، و ( أثيره ) ، أو ( عاشرة ) في المصاف الأول ، ولا يهتمان بالعالم (٧) ..

وقد كانت الإلهة في فينيقية تسمى ( بعلة ) ، وترتبط باسم المدينة التي تحميها ، مثل بعلة بيروت ، وبعلة جبيل ؛ وتسمى عادة ( عشتار ) ؛ وكانت الهة خصب ، وتوالد تجاه الطبيعة ، والانسان ، ولذلك هاجمها الأنبياء مراراً (٨) ؛ وقد ذكر ( لوقيانوس ) في نبذته شيئاً من أوصاف الأعياد الأدونيسية (٩) ، وموت ( أدونيس ) ، ثم حياته ، في حديث ( افروديت )

---

(١) ازدهرت شخصية ( عشتار ) في شتى المناطق البابلية ، والآشورية ، وتوسع في تمثلها في مناطق مختلفة . وحسب المناطق كان يقال لها : ابنة سين ، انو ، شمش ، أنهار ، أنليل ، أيا ، غرتا ؛ أو زوجة لـ : أنو ، آشور ، أنليل ، مردوك ، شمش ، سين ، تموز . ـ حضارة آشور وبابل ، السالف الذكر ، ص ٧٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٧٨ أيضاً .

(٣) نشرت عدة مرات ، منفردة ، أو مع ملحمة جلجامش .

(٤) الحضارة الفينيقية ، السالف الذكر ، ص ٩٣ .

(٥) حضارة آشور ، وبابل ، ص ٧١ .

(٦) هو نفسه البعل حدد إله العواصف ، والأمطار ، والأرض . راجع مقال ( البعل حداد ) لحسني حداد ، آفاق ، صيف ١٩٥٨ .

(٧) وردت في ألواح أوغاريت أشكال مختلفة لأسطورة موت ( البعل عليان ) ، من نزوله الى العالم السفلي ، أو نزاعه مع التنين ( ايم ) ، أو التنين ( موت ) ؛ وقد لخصها حسني حداد ، في مقاله ، السالف الذكر ص ٦٨ ، وما بعدها ؛ ويراجع فيها : Pritchard, Near Eastern texts Relating to Old Testament و ـ Gordon, Ugaritic Literatutre, 1949

(٨) سفر القضاة ـ ٢ : ١٣ ؛ ارميا ـ ٣٢ : ٣٥ ؛ الملوك الثاني ـ ٢٣ : ١٣ ؛ صموئيل الاول ـ ٧ : ٤،٣ .

(٩) النبذة ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

الجبيلية ، وهي معادلة لهيرا ، وربة الحب ؛ ولكنه لم يذكر شيئاً عن نزولها الى العالم السفلي ، أو احيائها ( أدونيس ) ، علاوة على أنه لم يذكر شيئاً من ذلك في حديثه عن ( هيرا ) نفسها .

ولا شك أن تقرير نعت ( سوري ) للبلاد السورية ؛ والحرية التي أخذ يتمتع بها السوريون في ظل الرومان والنزوع الى الاستقلال ، والسيادة ، أكد للآلهة المكرسة لها العبادات ، والشعائر ، والطقوس المختلفة ، والمميزه في البلاد نعتها بسورية ، في الأساس ، فاكتسبت نعتها الوطني ، مثل اكتسابها نعت المدينة ، التي تنتسب اليها .. ثم إن خصوصية الشعائر ، والطقوس المميزة التي كانت تمارس في ( الديانة السورية ) ، من ( تنظيم كهنوتي ) ، أو ( شعائر ) ، و ( طقوس ) ، من احتفال بالربيع ، أو نزول الى البحر ، أو موسيقى ، وغناء دينيين ، خاصين ، أو عامين ، كانت تشارك فيهما فرق الخصيان في المعبد ، أو أيضاً البغاء المقدس الذي كان لايزال متبعاً حتى أيام لوقيانوس ، وسجله في نبذته (١) .. كل ذلك أكسب ( الديانة السورية ) خصوصيتها ، وتميزها ، كما أكسب آلهتها ( أتارغاتيس ) ، ( هيرا الآشورية ) ، أو ( زيوس ) ، ( البعل حدد ) ، خصائصها ، وتميزها عن الآلهة اليونانية ، الرومانية آنئذ ( هيرا ) ، ( جينون ) ، ( زيوس ) ، ( جوبتير ) .. فذاع نعت ( سوري ) بالنسبة للآلهة السورية ، كما ذاع نعت ( دمشقي ) ، أو غيره ، بالنسبة لجوبتير ، الذي بدأ يحتل الصدارة في مجمع الآلهة آنئذ ..

يضاف الى ذلك ، أن ( الفترة الزمنية ) ، في ظل اليونان ، والرومان أكسبت ( ديانة الخصب ، والتوالد ) السورية ، ( مسحة ) تنويرية ، وفنية ؛ بحيث غزا مجمع الآلهة السورية آلهة حديثة ، مثل ( أبولون ) إله الموسيقى ، والشعر ، والهواتف (٢) ، والتي أفلها السوريون لأغراض كهنوتية ، دينية ؛ وللسوريين في المضمار التنويري ، الفني إرث قديم ، ومتوارث ، منذ أفلاطون ، وأرسطاليس ، شاركوا فيه في شتى نشاطات الفلسفة ، واللاهوت ، والبلاغة والأدب ، والفن ، ولذلك لاعجب أن نراهم في مجال الدين يتوسعون بالفنون الموسيقية ، الغنائية ، كالعزف على الناي ، والضرب على الطبول ، والدفوف ، والنقر على الصاجات ،

---

(١) هذه الموضوعات المختلفة ، والمميزة الديانة السورية ، في حالها ، وشكلها ، أيام لوقيانوس ، سنشرحها تباعاً في هذا البحث التفسيري ..

(٢) النبذة ، س ١٥٧ ـ ١٥٨ .

والغناء الديني والغناء الملهم وغيرها ؛ وقد كانت ( الفرق السورية ) في هيرابوليس ، وانطاكية ، واللاذقية ، وبعلبك ، وجبيل ، وغيرها ، جد شهيرة[١] ، في العالم الروماني كافة ، يتنقلون فيه يمجدون آلهتهم ( أتارغاتيس ) السورية ، وكانت طبقة القسس المخصيين تشارك في هذه الفرق وتتولاها كافة .. الأمر الذي ساعد على تأكيد الخصائص المميزة لديانة الخصب ، والتوالد السورية ، وذيوع شهرتها ، وشهرة ( الآلهة السورية ) المكرسة لها هذه النشاطات ، والطقوس ، وهي : أتار غاتيس ..

## هيئة الكهنوت في النبذة :

يذكر ( لوقيانوس ) أن ـ عدداً كبيراً من الكهنة ـ مكرسون ، لخدمة المعبد ؛ وأنه عند زيارته للمعبد ـ كان أكثر من ثلاثمائة كاهن يشاركون في الذبائح ، وأعمالها ؛ وكلهم مرتدون الثياب البيض ، ويحملون على رؤوسهم قلنسوات من لباد . ـ ثم يذكر أنواعاً منهم ، يختص كل منهم بأعمال متميزة ـ بعضهم لـ ( ذبح الذبائح ) ، والآخرون لـ ( جلب الشراب ) ، ويوجد آخرون يسمون ( حملة النار ) ، وآخرون يسمون ( مساعدين ) ـ ؛ ثم يضيف الى ذلك ـ وهنالك أيضاً مجموعة من الأشخاص الآخرين ، مرتبطون بخدمة المعبد ، مثل ( الزمارين ) و ( العازفين على الناي ) ، أو مثل ( القسس المخصيين ) ، أو ( النساء المجنونات ) ذوات الأفكار المختلة[٢] . ـ

كما يذكر أيضاً ، عندما يتحدث عن ( أبولون ) ، والعرافة ، والهواتف ، أن ثمت ( كهنة ) تحمل الصنم ، وتتنقل به ، و ( كاهن كبير ) يتلقى الهواتف[٣] ، ويترجمها ، ويفسرها ؛

---

(١) يقول ( فيليب حتي ) في كتابه السالف الذكر : ـ وكان العازفون على القيثار من هليوبوليس معروفين في كل الامبراطورية مثل موسيقيي الطاكية ؛ وكانوا يدعون للاشتراك ليس في مناسبات الأعياد فحسب ، بل في طقوس المعابد أيضاً ؛ وكانت نساء المدينة مشهورات بجمالهن ، وهي نعمة منحتهن إياها الإلهة السورية التي تلازم منحدرات لبنان المجاورة : كما اشتهر الرجال بفصاحتهم ، وذلك من إيحاء عرائس الشعر في منطقتهم الجبلية . ـ ( س ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ) ؛ كما يقول في ( فرق ) منبج ( هيرابوليس ) انهم : ـ اعتادوا القيام برحلات الى اليونان ، وإيطاليا لنشر عبادتها بواسطة ( التنبؤات ) ، و ( الرقص الروحاني ) ، وجمع تبرعات الأتقياء ، لأجل معبدها في هيرابوليس . ـ ( س ١٨٨ ) .

(٢) هذه العبارات من النبذة ، س ١٥٩ .

(٣) النبذة ، س ١٥٧ ـ ١٥٨

كما يسجل أن على رأس الكهنوت (كاهناً أعظم)، - ويتبدل (الكاهن الأعظم) عندهم كل عام، وهو وحده يرتدي قفطاناً أحمر، في حين بجبهته تاج ذهبي[١]. - كما يسجل بخصوص غرفة المعبد - ويمكن لجميع الناس أن يدخلوا المعبد، إلا أن الكهنة وحدهم، هم الذين يحق لهم دخول الغرفة؛ وأيضاً ليسوا جميعاً، بل الذين هم أكثر صلة بالآلهة، والذين توكل إليهم الأعمال الدينية[٢]. -

وقديماً كان (الملك) أسمى شخصية دينية[٣]، ويعتبر ابنـاً للآلهة، وصورة له، إلا أن (الملك) مع الزمن، ترك أعماله الدينية للكهنوت؛ وكان التقليد السومري يحتم، كما يفترض. العري في حال تقديم القرابين، أو حلاقة شعر الرأس، والشارب[٤]؛ وقد بقيت طقوس من هذا التقليد عند الكلدانيين[٥]، ثم الفينيقيين[٦]. ونلاحظ في الكهنوت الفينيقي، وجود ما يسمون (الحلاقين) وهم، مقدسون، ودينيون، يقومون بحلاقة الشعر[٧]، اما للعبادة، أو لكفارة النذور؛ ويلاحظ في الكهنوت البابلي، ثم الآشوري وجود مايسمون أيضاً المعمدين، والمغسلين، والداهنين[٨]؛ ولم يذكر (لوقيانوس) شيئاً من ذلك؛ وربما ما لاحظه عن تقليد (قص الشعر) للفتيان، أو الشباب[٩]، من الجنسين، يرجع الى هذه التقاليد القديمة.

أما طبقة (السحرة)، و (المداوون) فلم يذكر (لوقيانوس) عنهـا شيئاً؛ وربما كانت موجودة؛ وقد كان ثمت في الكهنوت البابلي، ثم الآشوري أيضـاً، ما يسمون

---

(١) النبذة، ص ١٥٩

(٢) النبذة، ص ١٥٥، والغرفة مخصصة لتمثالي (هيرا)، و (زيوس)؛ وثمت الى جانبيهما تمثال ثالث يسميه الآشوريون (الصنم)، ينسبه بعضهم الى (ديونيسوس)، وآخرون الى (ديكاليون)، وآخرون الى (سميراميس)، وكلها من ذهب، ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٣) الديانة البابلية، ص ١١١؛ وحضارة آشور وبابل، ص ٨٣.

(٤) سوس، لبارو، لوحات مختلفة، وشروح .. وراجع الديانة البابلية، ص ١١٤.

(٥) L. Henzey, Catal. des antiquités chaldeénnes du Louvre. 1902. P. 119

(٦) و (٧) الحضارة الفنيقية، ص ١٠٦.

(٨) الديانة البابلية، ص ١١١: حضارة آشور وبابل، ص ٨٩.

(٩) النبذة، ص ١٦٤.

( السائلين عن الخطايا ) ، و ( المطهرين من الآلام ) (١) وهم أيضاً من طبقة السحرة ، والمداوين ، وكذلك يلاحظ في الكهنوت البابلي ، ثم الآشوري وجود ما يسمون ( الممجدين ) ، أو (المحتفين) (٢) ، الذين يقودون ( من يحق لهم دخول المعبد )(٣) ؛ وتقليد ( دخول المعبد ) ، أو بعض أقسام منه ، سجله لوقيانوس ، فذكر أن غرفة الآلهة في المعبد لا يدخلها إلا الكهنة المتصلون بخدمة الآلهة ، أو الموكل إليهم أعمال دينية (٤) .. وقواعد أخرى ..

ومهمة هيئة الكهنوت خدمة الآلهة ، ثم القيام بالأعمال الدينية ، أو الإدارية للمعبد ، وكانت ( خدمة الآلهة ) ، في الأساس ، في تزيينها ، وتوضيب سريرها ، أو إطعامها ، وغسل فمها (٥) ، أو حمل أصنامها ، وتنزيهها ، وذلك في الاحتفالات الشعبية ؛ وقد ظهر ذلك واضحاً في العيد الكبير في بابل ، وآشور ، وهو ( احتفالات العام الجديد ) (٦) ، وتدوم اثني عشرة يوماً ، يمثل فيها في الأساس ( موت مردوك ) ثم حياته ، ثم زواجه المقدس ، من شاربنيت ؛ وتتخللها الأضاحي ، ونقل الأصنام من معبد الى آخر ، ومن غرفة الى أخرى (٧) ..

و ( طعام الآلهة ) ، هو نفسه ( طعام الناس ) ؛ وتقام الولائم ، على ( طاولة الآلهة ) مرتين(٨) ، أو ثلاث مرات ، أو أربع مرات أحياناً ، ويذبح للآلهة ، على المذبح ، أو في

---

(١) الديانة البابلية ، ص ١١٢ ؛ حضارة آشور وبابل ، ص ٨٩ أيضاً .

(٢) الديانة البابلية ، ص ١١١ .

(٣) الديانة البابلية ، ص ١١١ ؛ حضارة آشور وبابل ، ص ٨٩ أيضاً . ويقول لوقيانوس : ـ إذا رأى أحد من القسس ميتاً لا يدخل المعبد ذلك اليوم ، لأنه لا يدخله ، إلا في اليوم التالي ، بعد أن يكون تطهر : أما أهالي الميت أنفسهم ، فيمكنهم دخول المعبد بعد ثلاثين يوماً ، وبعد أن يكونوا حلقوا رؤوسهم ، واذا لم يتقيدوا بهذه التعاليم ، فالديانة تمنعهم من ولوج المعبد . ـ ص ١٦٢ .

(٤) النبذة ، ص ١٥٥ .

(٥) وكان أيضاً تقليداً مصرياً قديماً .

(٦) أورد ( بوتيرو ) في ـ الديانة البابلية ـ اوصاف هذه الاحتفالات كافة ، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٧) رسائل آشورية محدثة عديدة أثبتت طقوس سرير ( نابو ) ، و ( طشمتم ) .

(٨) يذكر ( لوقيانوس ) في النبذة : ـ تقدم القرابين مرتين في النهار ، وجميع أعضاء المعبد يحضر الاحتفال . ـ ص ١٥٩ .

بباحة المعبد ؛ واللحوم هي من أصناف مختلفة : غنم ، بقر ، خنزير[١] ، محضرة أو مشوية ؛ ثم سمك ، وخضار ، وحبوب ، وفواكه ، وعسل ، وحليب ، وخمر ، ونبيذ ؛ كما يحرق البخور من أجل الآلهة .. وهذه الأنواع عبادات ، وبعضها هبة ، والبعض الآخر تكفير عن الذنوب ، وتعود للكهنة[٢] عادة ..

تلك هي الأوصاف التي سجلها ( لوقيانوس ) عن هيئة ( الكهنوت ) في معبد ( هييرابوليس ) ، وأعمالهم ؛ وهذا ( الشكل ) الذي يصفه ( لوقيانوس ) ، هو الشكل التقليدي البابلي ، الآشوري ، والذي نجده أيضاً في الكهنوت الفينيقي ؛ ( الشكل ) ، في أساسه ، إذن ، محافظ عليه : الكاهن الأعظم ، الكهنة على اختلاف اختصاصاتهم ، في أعمال الذبائح ، والقرابين ، والهواتف ، والغناء ، والموسيقى ، والمومسات المعتوهات ؛ إلا أنه ينم ، مع ذلك عن ( تطورات ) محسوسة ؛ منها مثلاً ، تقليد ( وراثة ) أعمال الكهنوت ؛ إذ تلاحظ النبذة أن ( الكاهن الأعظم ) يتبدل كل عام ، وأن الأعمال الدينية توكل للكهنة ؛ في حين لوحظ على الكهنوت القديم ، في مصر[٣] مثلاً ، أو فينيقية[٤] ، أو قرطاجنة[٥] ، وراثة مناصب الكهنوت ، وهي مناصب فخرية ، ومجزية ..

ومنها أيضاً ، ( أعمال الجنسين ) في المعبد ؛ إذ تنقل النبذة ذكر الجنس الثاني من الكاهنات في المعبد ، وتلاحظ فقط وجود المومسات المعتوهات ، دون تمييز بينهن ، وهي

---

(١) يذكر ( لوقيانوس ) أن لحم السمك ، والحمام ، محرم كله في أيامه . ص ١٤٦ ؛ ويقول فيما بعد : — تضحى في المعبد الأبقار ، والثيران ، والماعز ، والخرفان ؛ الخنازير وحدها تعتبر دنسة ، انهم لا يضحونها ، ولا يأكلونها ، إلا أن هناك أشخاصاً لا ينظرون اليها كدنسة ، بل كمقدسة ؛ وبين جميع الطيور الحمامة هي في نظرهم الكائن الأكثر قدسية ، ومجرد لمسها يعتبر عندهم إثماً ؛ واذا لمسوها دون إرادة ، فهم دنسون طوال النهار ؛ وهذا هو السبب الذي من أجله يعيش الحمام بينهم ، ويدخل بيوتهم ، ويأكل في اغلب الأحيان على ارضهم . — ص ١٦٢ .

(٢) راجع في الأساس ، الديانة البابلية ، لبوتيرو ، السالف الذكر ، ص ١١٧ وما بعدها .

(٣) روى ( هيرودوتس ) ذلك عن كهنة منفيس ، ج ٢ ، ف ١٠٠ و ١٤٢ — ١٤٣ .

(٤) الحضارة الفينيقية ، المشار اليه سابقاً ، ص ١٠٦

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .

طبقة كانت موجودة في الكهنوت القديم ؛ في حين لوحظ على الكهنوت البابلي(١) ، ثم الآشوري(٢) ، أو الفينيقي(٣) أيضاً ، وجود ( كاهنات ) كثيرات ، ومتنوعات ، لأعمال المعبد المختلفة(٤) ، وأن بعضهن مكرس للبغاء المقدس(٥) .. ومنها أيضاً ( أعمال ) العرافة ، والسحر ، والتطبيب ، والتي تذكر النبذة منها الهواتف فقط ؛ في حين كان ثمت عرافون وسحرة ، ومداوون بين الكهنة مشهورون ..

وقد لاحظ الدارسون الديانات القديمة أن ( الكهنة ) يشترط أن يكونوا من ( ولادة شرعية ) ، وأن يكونوا صحيحي الجسم ، وأنهم ، مثل أفراد الشعب ، ( الزواج ) حالتهم الطبيعية ؛ وأنهم يتثقفون ، ويتدربون في المعبد ، الذي هو في الوقت نفسه ( مركز ديني وعلمي ) ، فيه مكتبة ، وساعات تدريس ، تدرس فيه العلوم المختلفة من لاهوت ، وأساطير ،

---

(١) الديانة البابلية ، المشار اليه سابقاً ، ص ١١١ ـ ١١٥ .

(٢) حضارة آشور ، وبابل ، المشار اليه سابقاً ، ص ٨٩ ـ ٩٠ .

(٣) الحضارة الفينيقية ، السالف الذكر ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٤) جاء في ـ حضارة آشور ، وبابل ـ المشار اليه ، تفصيل لأنواع هؤلاء الكاهنات : حيث نجد على رأسهن ( الكاهنة الكبيرة ) ولها سلطة عليهن ؛ ثم المشرفات على عملية الاتصال الجنسي المقدس ؛ ثم الممارسات للاتصال الجنسي المقدس ، وهن على أنواع ، مثل المليحات ، والماحيات البذار ، والمعتزلات ، والموسات ، ( ص ٨٩ ـ ٩٠ ) ؛ كما جاء في ـ الديانة البابلية ـ المشار اليه أيضاً تفصيل آخر للممارسات ، نجد فيه العبدات المقدسات ، والواهبات أنفسهن ، والماحيات البذار . والمتشبهات بالرجال ، وبنات اللذة ، والموسات . ( ص ١١٣ ) ؛ ويذكر المؤلف أنهن يعشن في المعبد ، وأنهن ينظر اليهن كمقدسات ، ودينيات .. ( ص ١١٣ ) ايضاً .. ومع ذلك وجدت تحذيرات من الزواج منهن ..

(٥) يقول ( فيليب حتى ) في كتابه السالف الذكر : ـ وتتابع الحياة والموت لم يقتصر على النبات ، ولما شمل الإنسان ، ونتج عنه التأكيد على الناحية الجنسية من الحياة . وقد تجلى ذلك في البغاء المقدس الذي كانوا يمارسونه بمناسبة طقوس عشتار ليس في بيبلوس وحدها ، بل أيضاً في بابل ، وقبرص ، واليونان ، وصقلية ، وقرطاجنة ، وغيرها من الأماكن . [ هيرودوتس ١ ، ١٩٩ ؛ سترابو ١٦ ، ٢٠ ؛ و ٢ ، ٦ ، و ٦ : باروخ ٦ ، ٤٣ ؛ ولوقيانوس ٢٢ ، ٤٣ ] ؛ وبعض من هذه الطقوس استعارها العبرانيون كما يظهر وكان لديهم ما يسمى بموسات المعبد [ سفر حزقيال ٨ : ١٤ ؛ ميخا ١ : ٧ ؛ التثنية ١٣ : ١٨ ] والإباحة الجنسية كانت مظهراً بارزاً في الاحتفالات الزراعية عند كثير من الشعوب القديمة . ـ ص ١٢٧ .

وأخلاق ، وطب ، وفلك ؛ وان الكاهن الواحد يعيش من ماله ، وان معاشه من عائدات المعبد ؛ وان الذبائح ، والقرابين على اختلافها ، وخاصة اليومية تعود الى الكهنة (٩) ..

## صفات الآلهة السورية في النبذة :

يذكر ( لوقيانوس ) في نبذته أن ( هيرا ) ، التي ينعتها بـ ( آشورية )(١) ، جالسة تجرها الأسود ؛ وأن لها ملامح من آلهة أخرى ، أثينة ، وأفروديت ، وسيلينة ، ورحيا ، وأرتميس ، ونيميسيس ، والأصنام ذات الأردية المتموجة .. وأنها تمسك بإحدى يديها ( صولجاناً ) ، وبالأخرى ( مغزلاً ) ؛ وحول رأسها ( أشعة ) ، و ( هالة ) ؛ وتتزنو بزنار ، هو زينة مخصصة فقط لـ ( أفروديت ) السماوية (٢) ؛ وعندما يصف طقوس التضحية لها ، يلاحظ أنه منذ بدء التضحية لـ ( هيرا ) يشرع بالغناء ، والعزف على الناي ، والنقر بالصاجات ، بعكس ( زيوس ) الذي يضحي له في صمت ، وسكوت(٣) ؛ وأن ( هيرا ) في أعياد ( المحرقة ) الربيعية تنزل مكان الاحتفـال مع الآلهة الأخرى ؛ في حين هي في أعياد ( النزول الى البحيرة ) — تعود ( هيرا ) الأولى إليها ، بسبب السمك ، لتمنع ( زيوس ) أن يراه الأول ، وإذا حصل ذلك ، فيزعمون أن الأسماك ستموت كلها (٤) ..

ولا شك أن عوامل جغرافية ، وتأريخية ، وثقـافية ، تتدخل هنا ، لتحديد صفـات الآلهة السورية ، على النحو الذي يسجله ( لوقيانوس ) في نبذته ؛ فالبيئة هنا بيئة زراعية تقدس الربيع ، والماء ؛ والفترة هيلنستية متأخرة عكست أثرها في اتجاه رمزي ، وفلسفي في الأوصاف أيضاً ؛ وأمران يلفتان النظر في هذه الأوصاف ، هما ( الصولجان ) ، و ( زنار ) افروديت

---

(١) هذه الأوصاف من كتاب — الديانة البابلية — لبوتيرو ، السالف الذكر ، ص ١١٣ — ١١٤ .

(٢) النبذة ، ص ١٤١ .

(٣) النبذة ، ص ١٥٦ .

(٤) النبذة ، ص ١٥٩ .

(٥) النبذة ، ص ١٦٠ — ١٦١ .

السماوية ؛ والصولجان لا شك إرث آشوري ، إذ كانت ( عشتار ) إلهة حرب ، وسيدة القتال(١) ؛ إلا أنه يحمل هنا معاني من ( زيوس ) هي النظام ، والعدل ، إذ أن ( زيوس ) هو في الوقت نفسه إله الصواعق ، والعواصف ، والمطر ، والساهر على العدالة بين الناس ، والشعوب . أما ( أفروديت ) ، فهي نفسها ، ( أتارغاتيس ) عند اليونان ، الهة الحب ، والمسرات : وقد تبسط ( أفلاطون ) في موضوع ( أفروديت ) وأساطيرهـــا ، فتصور وجود أفروديتين : ( أفروديت السماوية ) ، والتي ولدت من الأعضـاء التناسلية التي قطعها ( كرونوس ) ، من ( أورانوس ) ؛ وهي آنئذ ربة الحب الصافي ؛ و ( أفروديت الشعبية ) ، وهي بنت ( زيوس ) ، و ( ديونة ) ، وهي آنئذ ربة الحب العامي(٢) . وإشارة ( لوقيانوس ) الى أن ( الآلهة السورية ) تتزنر بزنار ( أفروديت السماوية ) تتضمن هذه التفرقة الأفلاطونية الطريفة ، بين الحب الصافي والحب العامي ، وتؤكد أن الآلهة ربة الرباط المقدس ، والزواج ؛ وأما الأشعة ، والهالة حول رأسها فأثر بابلي فلكي مستحب(٣) .

وقد عثر مؤخراً على تمثال لها في منبج ، محفوظ في متحف حلب(٤) ؛ في حين لا تماثيل لها عندنا في المتحف الوطني بدمشق(٥) ؛ بينما في المتحف عشرات التماثيل لآلهة يونانية وردت عن الخصب والتوالد ، مثل ( أفروديت ) ، و ( نينوس ) ، وغيرها(٦) . ويذكر ( فيليب حتي )

---

(١) راجع التعليقات ١ و ٢ و ٤ من الصفحة ٦٦ .

(٢) قاموس ( الميثولوجيا ) الاغريقية والرومانية ، لجريمال ، باريز ، ١٩٥٨ ، ص ٤٠ .

(٣) يذكر ( فيليب حتي ) في مؤلفه السالف الذكر : ـ ويتألف رمزها من الهلال مع قرص الشمس . ـ ( ص ١٨٨ ) ؛ ولكن ذلك غير مطرد .

(٤) تفضل الأستاذ ( فيصل الصيرفي ) مدير آثار ومتاحف المنطقة الشمالية بحلب ، فزودنا بصورة التمثال وسمح لنا بنشرها ؛ وقد وجد مؤخراً في مدينة ( منبج ) ، ومحفوظ في متحف حلب ؛ ونحن ننشرها شاكرين ؛ وتدل على ( التشابه ) العام في تمثل ( الآلهة السورية ) ـ أتارغاتيس ـ بأسدها ، رمز القوة ، وصولجانها ، وهنا يشبه عصا الرعاة ؛ رغم وجود فروق في انجاز التمثال ، وهو لوح مسلة بارز ، كوجود حية حول الصولجـان ، أو الشعر المستعار ، رمز سلطة الهيئة النسوية في الكهنوت ، والغار على الرأس ، أو الألبسة التي تشبه الألبسة العسكرية الرومانية ، أو بارز الشابين اليافعين حولها في زاوية التمثال ، وترجع الى مؤثرات بيئية ، أو زمنية ، أو حضارية .. وجاء في الأدب الأوغاريتي ، ملحمة ( بعل ) بخصوص العصا : ـ الملحمة على سطح الأرض ضد مشيئتي ؛ ارفعي لفاحاً في الحقول ، واسكبي السـلام في كبد الأرض ، ارفعي عصاك وسلاحك . ـ أوغاريت ، لنسيب وهبه الخـازن ، بيروت ١٩٦١ ، ص ٢١٦ ؛ والملحمة هي الحرب ، وسلاحك عطف بيان لبدل ، يعني عصاك ، أي عصاك التي تتسلحين بها ..

(٥) أعلمنا الأستاذ ( بشير زهدي ) محافظ العهود اليونانية ، والرومانية ، والبيزنطية في المتحف الوطني بدمشق ، أن لا تماثيل لـ ( أتارغاتيس ) ، أو ( هيرا ) في المتحف الوطني بدمشق .

(٦) تجد في كتاب : ـ الفن الهلنستي والروماني في سورية ـ للأستاذ ( بشير زهدي ) ، أوصافاً دقيقة لهذه التماثيل المختلفة ص ١٩ ـ ٢٧ ؛ كما تجد في القسم الأخير منه بعض ( لوحات ) لها ، ص ٧١ ـ ٧٤ ؛ صورة ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ..

أنه _ في النقود التي أتت من ( هيرابوليس ) نراها تلبس تاجاً ، ويصحبها أسد أحياناً . _ كما يضيف الى ذلك : _ وهناك نموذج غريب لأتارغاتيس على النقود من ( هيرابوليس ) حيث تظهر ( محجبة ) ؛ ووجدت صور أخرى كثيرة لأتارغاتيس المحجبة [ رونزفال ، ٢٥ ، ٢٦ ] [١] . ولا شك أن هذا التباين ، أو الاختلاف في الأوصاف يرجع الى أثر البيئة ، والفترة الزمنية ، والعنصر البشري أيضاً ..

## ( هيرا ) في العالم اليوناني :

ترجع نحلة ( هيرا ) [٢] الى البلبونيز حيث مجدت منذ عصر متقدم ، كآلهة للرباط الزوجي ، والأمومة ؛ وهي ابنة ( كرونوس ) ، و ( رحيا ) ، تزوجت أخاها ( زيوس ) ، وهذا الرباط الزوجي رغم خيانات زوجها ( زيوس ) مع كثيرات ، يظل نموذج للزيجات الإنسانية ؛ وهي أيضاً ربة الأرض ، والبنات ، والربيع ، والأزهار ، وتساهم في تنظيم العالم الذي يحرسه ( زيوس ) زوجها ؛ وكانت الأعياد الدينية السنوية تمجد الزواج الإلهي بتزيين تمثالها بقميص عرس فضفاض لفتاة مخطوبة ؛ ثم يقاد الى المعبد حيث يكون قد أقيم فيه سرير الزواج ؛ والمغزى منه تمجيد الخصب ، والطبيعة .

وفي العصور الزاهية عند اليونان ، هي زوجة ( زيوس ) الإله الأول في الالمب ، وترعى الأزواج ؛ ولذلك تبدو غيورة ، عنيفة ، يجيء ( زيوس ) عنهـــا أولاده الشرعيين ، وغير الشرعيين من الزوجات الأخرى عدة مرات ، كالحال مع ( ديونيسوس ) بن سميلة ، و ( أبولون ) ، و ( أرتميس ) ولدى ( ليتو ) ؛ وتروي الأساطير أنها تبارت في الجمال ، أمام ( باريس ) مع ( أفروديت ) ، و ( أتينه ) ، فحكم ( باريس ) عليها ؛ ولذلك حاربته في حروب طروادة .

## صفات ( زيوس ) في النبذة :

ويذكر ( لوقيانوس ) في نبذته أن ( زيوس ) جالس يجره طاقم ثيران ؛ وأن السوريين يسمونه باسم آخر ؛ ولكن كل شيء يوحي به ، رأسه ، ثيابه ، عرشه [٣] ؛ وانه ، بعكس ( هيرا ) ، يضحى له في سكوت ، وبدون أي عزف [٤] ؛ وأن بيده الشر ، كما يظهر ، إذ يسبب موت السمك إذا وقع نظره عليه ، والذي تبادر ( هيرا ) الى منعه من رؤيته [٥] .

---

(١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، السالف الذكر ، ص ١٨٨ ..

(٢) Dictionnaire de la Mythologie grecque et Romaine . Pierre Grimal Paris, 1951, pp 186, 187

(٣) النبذة ، ص ١٥٥ .

(٤) النبذة ، ص ١٥٩ .

(٥) النبذة ، ص ١٦٠ .

ولعل السوريين كانوا يطلقون عليه اسم ( البعل حدد ) : إله العواصف والمطر ؛ وقرين أتارغاتيس ؛ ولكن مع ذلك نتساءل عن مطرقته ، وصاعقته ، ورمحه ، وفأسه(١) ، والتي لا يذكر ( لوقيانوس ) عنها شيئاً ؛ علاوة على أنه لا يذكر عن قصة موته ، أو حياته شيئاً ، وقد يكون ذلك بسبب أقلمة ( زيوس ) ، أو اختصار البعل حدد ..

ونحن نعلم بين تسميات الآلهة السورية ، اسم ( زيوس كاسيوس ) ؛ ويرجح أن يكون ( كاسيوس ) اسم الجبل الأقرع الذي كان يقدسه الحثيون ، والحوريون ؛ وظلت عبادته الى العصر اليوناني الروماني(٢) .

## ( زيوس ) في العالم اليوناني :

( زيوس )(٣) أكبر إله في المجمع الهيليني ؛ وهو ابن ( كرونوس ) ، وتروي الأساطير أن رؤيا أخبرت ( كرونوس ) بأن أحد أبنائه سيخلعه عن العرش ، فراح يأكل أولاده ، وعند ولادة ( زيوس ) خشيت عليه أمه ، فوضعت مكانه حجراً ، ابتلعه ( كرونوس ) ، ونجا ( زيوس ) ؛ إلا أنه عندما شب استولى على السلطة ، وطرد التيتان من السماء ؛ وهو يحكم السماء و ( بوزيدون ) البحر ، و ( هاديس ) العالم السفلي ؛ وهو في الأساس رب النور ؛ إلا أنه أيضاً رب الصاعقة ..

وهو يرأس التظاهرات السماوية ، ويحدث المطر ، ويقذف الصاعقة ، والبرق ؛ وهو يحرس النظام والعدالة في العالم ، ويسهر على حفظ العهد ، والقيام بالواجب ، ويكفل السلطة الملكية ، والسلالة في الناس ، والآلهة . هذا المفهوم الوثني عنه ينتهي عند الفلاسفة الهيلينيين الى مفهوم قدر واحد ؛ وقد خصص الفيلسوف الرواقي ، ( كريزيب ) قصيدة لـ ( زيوس ) ، تمثله فيها رمزاً للإله الواحد ، الحال في العالم ؛ وأن ( قوانين ) العالم ليست إلا فكرة ( زيوس ) ..

( للبحث صلة )

عدنان بن ذريل

---

(١) راجع في ذلك بحث ( البعل حداد ) لحسني حداد ، السابق الذكر ؛ ويقول ( فيليب حتي ) في مؤلفه السالف الذكر : — ويظهر في نحت بارز من زنجرلي حاملاً الشوكة ذات القضبان الثلاثة والمطرقة رمز البرق والرعد ، وفي ملاطية يبدو في شكل منحوت واقفاً على ظهر ثور ، وهذا رمز القوى المولدة ؛ وكان أهم معبد للاله حدد في ( هيرابوليس ) منبج . — ص ١٨٦ .

(٢) يرجح أنه ( البعل صفون ) ، الذي وصفته الكتابات ، المصرية القديمة أنه إله غريب ، ورد من الشمال ، من آسيا ؛ وهو عندهم بمثابة ( ست ) الذي قتل أخاه ( أوزيريس ) ؛ وهو أيضاً إله شر وجدب ؛ وقد أدخله الهيكسوس معهم الى مصر ..

(٣) قاموس الميتولوجيا الاغريقية والرومانية ؛ ص ٤٧٧ — ٤٨٠ .